٢ ـ شعر علي بن أبي طالب

للأســـتاذ السيد يعقوب بكر

على أننا وقد ذكرنا أقوال بعض المؤيدين نحب أن نعرّج على أحد المعارضين وهو الأب لامانس فنناقش مقالته وننقضها ليتم لنا بذلك وجه البرهان على الرأى الذى رأيناه .

فقد كان أنكر فى كتابه Fâtima et les Filles de Mahomet (ص ٥٨) أن علياً كان شاعراً ، واستشهد على ذلك بما ذُكر فى الأغانى (ج ٤ ص ١٣٧ ط دار الكتب) من أنه « كان يهجو رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة رهط من قريش : عبد الله بن الزبعرى ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعمرو بن العاصى ؛ فقال قائل لعلى بن أبى طالب رضوان الله عليه : أهج عنا القوم الذين قد هجونا ؛ فقال على رضى الله عنه : إن أذن لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فعلتُ ؛ فقال رجل : يا رسول الله ، إئذن لعلى كي يهجو عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا ؛ فقال : « ليس هناك » أو « ليس عنده ذلك » .

ثم إن المستشرق الإيطالى الدكتور Georgio Levi della Vida عارض الأب لامانس فى رأيه هذا فى بحث نشره بمجلة Rivisti delgi Studi Orientali (مجلد ٤ ص ٥٣٦ـ٥٤٧) . فقد ذهب إلى أن معنى النص المذكور فى الأغانى هو أن محمداً رأى أن هجاء قرشىّ كعلى لقريش ليس من الأمور التى يتطلّبها الهجاء ليكون نافذاً لاذعاً مؤثراً ، فإن هجاء غير القرشى لقريش يكون شديداً عليها ذا وقع كوقع السهام أو أشد . واستدل هذا المستشرق الإيطالى على ما ذهب إليه فى هذا النص بأن الشعراء الذين كانوا يناضلون عن الرسول ودعوته ويدفعون عنه عادية شعراء قريش كانوا كلهم من المدينة أى من الأنصار مثل : حسان بن ثابت وكعب بن مالك[1] .

فردّ عليه الأب لامانس رداً طويلاً تجده فى مجلة : Mélanges de la Faculté orientale de Beyrouth (مجلد ٧ سنة ١٩٢١ ، ص ٣١١ ـ ٣٢٠) ، وكذلك فى أول كتابه : Etudes sur le Siècle des Omayyades (ص ١ ـ ٧) . ونحن سننقض هنا هذا الرد ؛ ولكننا قبل هذا نورد خلاصة كلام قدمه بين يدى رده ونقول رأينا فيه ، وذلك لأنه يتصل بموضوعنا من قريب

يبدأ الأب لامانس كلامه هذا بأن يقول : إن مكة لم تنجب قبل الهجرة أى شاعر ملحوظ المكانة ذائع الصيت ، وإن هذه الحقيقة تقوم دليلاً على زيف ما فى سيرة ابن هشام من أشعار كثيرة ، كهذه الأشعار المنسوبة إلى عبد المطلب جد على بن أبى طالب وإلى أبى طالب أبيه ثم إلى على نفسه

ثم يقول بعد ذلك إن الشعراء كانوا فى الجاهلية الحكماء وأصحاب الرأى ، وإن الشعر كان فيها من الصفات اللازمة للرجل الكامل حتى يدعى كاملاً ، وإنه قيل على هذا الأساس إن الخلفاء الأربعة الراشدين كانوا شعراء أو كانوا على الأقل أصحاب علم بالشعر العربى القديم . ولقد عنى أهل السنة بالنص على علم عمر الواسع بالشعر ، وكان عمر منافساً لعلى ومنازعاً له ، فكان أن قال الشيعة بعلم على بالشعر وحاولوا تصويره لنا فى مستوى عال جداً أو على الأقل فى مستوى مساو لمستوى منافسه الخليفة الثانى

ولقد أظهر على أثناء حياته السياسية جهلاً تاماً بأساليب السياسة أو قل بأساليب الحياة ، وجاء فى الحديث وصفُه بأنه محدود ، ووصفه معاصروه غير المتشيعين له بأنه تلعابة

وعلى الرغم من ذلك كله ، فإن الشيعة لم يدخروا جهداً فى إطراء علم على . ولقد كان أهل السنة يمجدون عمر ويرون فيه الرجل المطلق ، والمتمم العبقرى لعمل محمد ، والخليفة الذى لا تأخذه الأحداث على غرة ؛ ولذلك وجدنا الشيعة يصورون بطلهم مخرجاً لعمر من حيرته وحرَج موقفه فى الوقت المناسب بحصيف رأيه وصادق نظره . وكان الشيعة يدّعون أن الله حبا عليّاً بتسعة أعشار العلم الإنسانى ، وقد بثّوا هذا الادعاء فى حديث وضعوه ، وادعوا أيضاً أشياء أكثر من هذا

هذه خلاصة الكلام الذى قاله لامانس قبل رده على المستشرق الإيطالى ؛ ورأينا فيه أنه كلام متهافت لا يسند أوله آخره ولا آخره أوله ، ونبين هذا فيما يلى :

١ ـ يشك لامانس فى الشعر المنسوب إلى علىّ فى سيرة ابن هشام لما هو معروف من قلة شعراء مكة قبل الهجرة ؛ ونحن إن قبلنا هذا الشك ، فإننا لا نقبل الأساس الذى بُنى عليه ؛ وذلك لأننا نعرف أن عليّاً نشأ بنشأة الإسلام وترعرع فى ظله فلم يكن وليد الجاهلية . وإنما كان وليد الإسلام . وعلى ذلك

(١) هذه المعلومات مستقاة من لامانس فى رده على المستشرق الإيطالى

فإذا شككنا فى الشعر المنسوب إليه فى سيرة ابن هشام ، لزم ألا يكون شكنا مبنيًّا على هذا الأساس الذى بنى لامانس عليه شكه ، وإنما لزم أن يكون مبنيًّا على أساس آخر ، كأن يكون مبنيًّا مثلاً على أن ابن إسحق الذى يروى عنه ابن هشام ممن لا يوثق بروايتهم للأشعار ، أو يُعتمد عليها

٢ — يرى لامانس أن الخلفاء الأربعة الراشدين إنما زُعم أنهم شعراء ، أو — على الأقل — أصحاب علم بالشعر ، لأن الشعر كان فى الجاهلية من مستلزمات الكمال ؛ وهذا الرأى لا أساس له ، لأن الحياة العربية اختلفت مُثُلها فى الإسلام عنها في الجاهلية ، فأصبح العرب لا ينظرون إلى الشعر كما كانوا ينظرون إليه من قبل ، وبعد أن كان الشعر من مستلزمات الكمال ، أصبح وقد تحرّج من قوله كثير من الشعراء مثل لبيد

٣ — مهما قيل من أن الشيعة أضفوا على علىّ أثواباً من الكمال والحكمة وقوة العقل والقدرة على حل المشكلات ، فلسنا نستطيع أن ننفى عن علىّ صفات الرجل العاقل ، إذ يكفيه ليكون كذلك أن يربّى فى حجر محمد ويشبّ فى كنف الإسلام . فمحاولة لامانس تجريده من العقل الحصيف محاولة غير ناجحة ، فضلاً عن أن النصوص التى يستند إليها فى محاولته هذه مما لم تثبت صحته

بعد هذا التفنيد لكلام لامانس ، نعرّج على ردّه على المستشرق الإيطالى ، فنأتى بخلاصته ثم نقول رأينا فيه

يقول لامانس إن العبارة التى وردت فى الأغانى وهى « ليس هناك ؛ أو ليس عنده ذلك » مكونة من جزأين ، فالجزء الأخير منها هو الأدلّ على المعنى والأعمق فى الأثر ، وليس الجزء الأول منها إلا مؤكداً له ومقوّياً . وهذا الجزء الأول أوجز وأكثر إمعاناً فى البداوة من الجزء الثانى

وبعد ذلك يورد لامانس العبارة التى وردت فى أسد الغابة وهى « إن علياً ليس عنده ما يراد من ذلك » ، ويبين كيف أنها تؤكد ما فهمه هو من عبارة الأغانى

ثم يأخذ فى محاولة تحديد معنى عبارة « ليس هناك » المرادفة لعبارة « ليس عنده ذلك » ؛ وذلك بالرجوع إلى استعمالاتها الواردة فيما يرويه صاحب الأغانى : وقد استخلص من هذه الاستعمالات أن عبارة « ليس هناك » تشير حين يكون المدار حول الشعر إلى عجز من تقال فيه عن قول الشعر ونظمه

وأخيراً ينعى لامانس رده بأن يقول إن أى مستشرق لا يمكنه قبول الأشعار المنسوبة إلى على ، وإن الأقدمين أنفسهم أحسوا بانتحال هذه الأشعار أو خامرهم الشك فيها ، ومنهم ابن هشام ويونس بن حبيب

هذه خلاصة رد لامانس ، ونحن نرد على هذا الرد فيما يلى :

١ — صحيح أن عبارة « ليس هناك » تشير حين يكون المدار حول الشعر إلى عجز من تقال فيه عن قول الشعر ونظمه ، ولكن لا يمكن أن تشير إلى ذلك إذا كان الدار حول فن من فنون الشعر كالهجاء وحده أو المدح وحده ، فإنها تشير حينئذ إلى عجز من تقال فيه عن هذا الفن وحده دون سواه . وهذه هى الحال بالضبط فى القصة التى يرويها أبو الفرج ، فإن رجلاً سأل الرسول أن يأذن لعلى كى يهجو قريشاً فقال له الرسول : « ليس هناك » أو « ليس عنده ذلك » أى ليس هو بالقادر على الهجاء

ويؤيد رأينا هذا أننا لا نجد فى الصحيح من شعر على بيتاً واحداً فى الهجاء

ثم إنه لو لم يكن على شاعراً حقاً لما سأل هذا الرجل الرسول أن يأذن لعلى بهجاء قريش ، لأن سؤاله هذا مبنى على علمه بأن علياً شاعر قادر على نظم القصيد .

٢ — إذا كان بعض الأقدمين شك فى الأشعار المنسوبة إلى علىّ ، فليس يمكن أن يكون هذا الشك حجة للامانس ، لأن بعض الأقدمين أيضاً قال بأن علياً كان من الشعراء كما سبق أن بيّنا

* * *

فعلىّ إذن كان شاعراً ، ولكن لا يمكن القول بأنه كان مكثراً ، فهو كان فى أغلب الظن مُقلاً ، بدليل أنه لم يُرْوَ له شعر كثير فى المراجع العربية المعتمدة ؛ ولكننا على كل حال لا نسلم بأنه لم يقل غير بيتين كما يذكر ياقوت فيما سبق أن نقلناه عنه وكما يذكر السيوطى فيما سبق أن نقلناه عنه كذلك . ونحن لا نسلم بهذا لأن المراجع العربية المعتمدة روت لنا أكثر من بيتين لعلى .

(للبحث بقية أخيرة) السيد يعقوب بكر

حاشية : وجد في المقال السابق بعض تصحيفات دونك تصاويبها مرتبة :
فى حاجة إلى شىء بعد ذلك : ... من ذلك . السوق . السيوطى .
شرح شواهد المغنى : ... المغنى . المطبعة البهية : ... البهية ، وكان
مجددا قال له : وكان مجودا ما قال . كعرب : كعرب . خبروا .
ألا فرار : أن لا فرار . يقر هذا : يحفه هذا